المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر ـ يوسف القرضاوي أنموذجا ـ

زيد مليكة : جامعة الشهيد حمّة لخضر - الوادي: الجزائر.
سليمة لزعر:جامعة الشهيد حمَّة لخضر - االوادي: الجزائر.

الملخص:

تعدّ المواطنة من أهمّ القضايا التي اِحتلّت مساحات شاسعة في التداولات المعرفية والدِّراسات الأكاديمية سواء الاِجتماعية أو السياسية أو الإسلامية أو التربوية ،و جدل كبير اِكتسح السأّحة السياسية اليوم يتعلّق بمصير الأمم ومصير الشعوب ،ونظرًا لما يحمله الموضوع من أبعاد وجذور تتجلى في مدى إحساس الفرد بانتمائه للوطن والجماعة أو الهوية المشتركة وما يوفره الوطن من متطلبات تكفل الحياة الكريمة للأفراد، برزت العديد من الرؤى والأطروحات الفكرية التي تتناول الموضوع من وجهات نظر متفاوتة بتفاوت المرجعيات والأيديولوجيات التي يتبناها العلماء والمفكرون من الغرب عموما أو من العرب المسلمين على وجه الخصوص ومن بينهم الدكتور يوسف القرضاوي الذي اِهتم بالموضوع اِهتماما بالغا اِنعكس في مؤلفاته وكتاباته من خلال تحريره لمضمون مصطلح الوطن والمواطنة و القيم المحورية التي ترتكز عليها ،وبناء على هذه المعطيات تتمحور أهمية البحث في محاولة لإبراز مفهوم المواطنة في الاِجتهاد الإسلامي المعاصر ودورها في تحقيق رقيّ المجتمع الإنساني موازاة مع تقدم الدول ،وضمان تحقيق العدل والمساواة والحرية وما يكفله ذلك من ضمان للحقوق والواجبات ،وعليه فقد تمّ تقسيم البحث إلى مقاربة مفاهيمية شملت تحديد المصطلحات اللغوية والاِصطلاحية و وتحديد مشروعية المواطنة وتأصيلها في ميزان القرآن والسنة ،ومقاربة إجرائية تمّ فيها التطرق إلى نبذة عن القرضاوي وطرحه قضية المواطنة من خلال تحليل وثيقة المدينة والحقوق والواجبات في كتابه الوطن والمواطنة ،معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي لنخلص في النهاية إلى نتائج من أهمها أن الإسلام أول من دعا إلى الوحدة الإنسانية الشاملة والتساوي في الحقوق والواجبات ليعيش المجتمع في سلام وأمن واستقرار ، وكان للقرضاوي كتابات واجتهاد في الحديث عن المواطنة وبيان قيمها من خلال تحليله لوثيقة المدينة ،داعيا إلى ترسيخ فكرة الولاء للوطن والارتباط له ، فنجد أن الرؤية التي تبناها القرضاوي تمثل منطلقا فعّالا في التواصل بينه وبين الواقع والبيئة الاجتماعية وما يحمله ذلك من وعي بضرورة تفعيل الواجب الإنساني مقابل الحقوق التي تمنحها الدولة للأفراد بناء على المساواة.

الكلمات المفتاحية : المواطنة . الوطنية . يوسف القرضاوي

Abstract:

The citizenship of the most important issues that occupied vast areas in trading knowledge and academic studies, whether social or political Owalasalamah or educational, and a great controversy swept the political arena today the fate of nations and the fate of the peoples, and in view of what holds the subject of the dimensions and roots are reflected in the extent of a sense of an individual belonging to the homeland and the group or common identity, and provided home from the requirements of decent life for individuals to ensure that, many visions arisen and intellectual theses on the subject of the views of varying ideologies and varying references adopted by scholars and thinkers of the West's uncle What or Arab Muslims in particular, including Dr. Yusuf al-Qaradawi, who took the subject of great interest reflected in his works and writings by editing the content of the term homeland and citizenship highlighted the central values that underpin, and based on these data-centric importance of research in an attempt to highlight the concept of citizenship in the contemporary Islamic jurisprudence and its role in Achieve promoted human society parallel with the progress of nations, and to ensure the achievement of justice, equality, freedom and guaranteed from a guarantee of rights and duties, and it has been divided research into a conceptual approach that includes identifying terms Toeselip and examples from the Qur'an and Sunnah, and the approach of procedure addressed to

profile Qaradawi, in addition to citizenship was where through close analysis of the city, rights and duties in his homeland and citizenship, then the conclusion of the most important results and come up with recommendations based on the descriptive and analytical approach to conclude in the end results of the most important that Islam first called for a comprehensive human unity and equality in pressing Rights and duties to live society in peace, security and stability, and was Qaradawi's writings and jurisprudence to talk about citizenship and the statement of values through the analysis of the document, the city, calling for the consolidation of the idea of loyalty to the homeland and the link to him, we find that the vision espoused by al-Qaradawi represents an effective platform in the communication between him and the reality of social and environment and what this entails
Key words: citizenship، national، Yusuf al Qaradawi

مقدمة:

المتأمل في واقع الأوطان يرى غالبيتها تحوي أجناسًا بشرية شتىّ وطوائف دينية أو قومية أو عرقية متنوعة والمجتمعات الغربية المتقدمة جزء من جغرافية هذا العالم بفضل نظام أو مبدأ المواطنة تجاوزت الكثير من اِنقساماتها وحروبها الداخلية ،فبنت أمنها واستقرارها السياسي والاِجتماعي على قاعدة هذا النِّظام ،فاحتل موضوع المواطنة موقعا ذا جدل كبيرٍ اِكتسح الساحة السياسية اليوم حيث تعلق الأمر بمصير الأمم و الشعوب،وبما أنَّ الأمة الإسلامية كغيرها من الأمم التي تعنى بهذه الموضوعات كان اِهتمامنا بتسليط الضوء على موضوع المواطنة من وجهة نظر شرعية تحكمها مرجعية دينية من خلال الإجابة على جملة من الأسئلة لتحديد مفهوم المواطنة في التراث الإسلامي وبخاصة في الاِجتهاد المعاصر .

حيث اِستطاع علماء الإسلام وفقهاؤه وعبر حقب زمنية متعددة أن تكون لهم كتابات وملفات فقهية وفكرية ودينية تستوعب كل موضوعات وقضايا الحياة الإسلامية من أهمها موضوع المواطنة ذات الشأن الحاسم والذي يؤثر بطبيعته على علاقة المسلم بأخيه المسلم أو علاقته بالطرف الآخر ،فمصالح الأوطان التي يتواجد فيها المسلمون اليوم ليست بالضرورة منسجمة ولا يمكن للباحثين أن يغفلوا أو يتجاوزوا التراث الإسلامي الضخم الذي تركه فقهاء وعلماء الأمة الإسلامية وكونهم السباقين لبيان وجهة نظر الدين تجاه جميع القضايا الجديدة والمستحدثة والتي تحتاج إلى بناء رؤية شرعية ودينية تجاهه .

وعلى هذا السياق كان تناول البحث لأحد هذه الموضوعات المستحدثة يتبلور فيها الدين الإسلامي رأياً وفكرًا ولا نبالغ حين نقول أن المفكر الإسلامي الدكتور الشيخ القرضاوي من المفكرين المسلمين الذين خصّصوا جزء من فكرهم و كتاباتهم في البحث عما يثمِّن قيم المواطنة ،وعلى هدا الأساس تتمحور نقاط البحث في التساؤلات التالية:

. ما مفهوم المواطنة ؟ما مفهوم الوطنية ؟ ما هو موقف الإسلام من المواطنة ؟

. ما هو موقف القرضاوي من المواطنة؟ فيما تتمثل قيم المواطنة عند القرضاوي ؟ما هي حقوق وواجبات المواطنة في نظر القرضاوي ؟

ومن خلال هذا البحث نودّ التعرف على المواطنة في الفكر الإسلامي عند القرضاوي بالوقوف على أهم ما تطرق إليها انطلاقا من خلال المحاور التالية :

1. التعريف بالمواطنة والوطنية
2. ترجمة حياة الدكتور يوسف القرضاوي
3. قيم المواطنة من خلال القرآن والسنة
4. المواطنة في الإسلام
5. المواطنة من خلال تحليل وثيقة المدينة عند القرضاوي
6. حقوق وواجبات المواطنة عند القرضاوي
7. الأقليات الإسلامية في بلد غير إسلامي

المبحث الأول : مقاربة مفاهيمية لمصطلحات البحث

1. مفهوم المواطنة والوطنية

قبل الشروع في تطبيق فكرة المواطنة وعلاقتها بمضمون البحث يحسن بنا أن نعرج الدَّلالات اللُّغوية ثم الإِصطلاحية بالإِقتصار على بعض المعاني والآراء الهامة لبعض العلماء والباحثين والمفكرين ولاسيما الدُّعاة المعاصرين واجتهادهم لوضع مفاهيم جديدة للمصطلحات ،والتي تكون سندا علميا في الوقوف على محاور البحث عسى أن تسعفنا ببعض الإِضاءات الكاشفة عند الولوج في الحديث عنها.

لغة:

في لسان العرب : على وزن مفاعلة مأخوذة من موطن على وزن مفعل ،والموطن والوطن معنى واحد

والوطن هو المنزل الذي يقيم فيه وهو موطن الإنسان ومحلّه ،ووطن بالمكان وأوطن أقام وأوطنه اتخذه وطنا " لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرة" [التوبة : 25] ويسمى به المشهد من مشاهد الحرب وجمعه مواطن [1].

إِصطلاحا

لقد كان لمصطلح المواطنة مفاهيم كثيرة ومختلفة أشارت إليها العديد من المقالات والدراسات والأطروحات السياسية والقانونية والشرعية ،وكتب فيها عدد لا نظير له من الباحثين والمفكرين والسياسيين عند تحليلهم لقضايا

المواطنة كقضية جديدة على الساحة السياسية في العالم العربي والإسلامي على وجه الخصوص عندما تداولت في الآونة الأخيرة الحديث عنها بين جدل ونقاش حاد ،دون أن لا ننسى مكانتها في الدراسات الإسلامية ولاسيما لدى فقهاء وعلماء الإسلام المعاصرين كالدكتور القرضاوي وراشد الغنوشي والشيخ محمد الغزالي وغيرهم كثير ،ولا أستطيع أن أذكر جميع التعاريف أو جمع الكثير من المفاهيم عن الأخلاق وإنَّما سأقتصر على بعضها بصورة موجزة .

. المواطنة هي مفهوم سياسي مدني و ديني كمفهوم الأخوة في الإسلام، حققت توازنا في المجتمع على الرغم من التنوع العرقي والديني والثقافي بينما سارت في المجتمعات الأخرى نحو الصراع العرقي والديني والثقافي والغرب من شمله هذا الصراع لأنه جعل المواطنة ذات اتجاه عنصري كما عبرت عنه الحربان العالميتان في القرن العشرين، فالمواطنة في الإسلام أخذت مفهومها الإنساني لا العنصري وهي تتيح للمواطنين حقوقهم المتمثلة بحقوق الإنسان لقيامها على قاعدة التسامح والمساواة [2] .

والمواطنة هي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماءه إلى الوطن[3]. والمواطنة عضوية كاملة تنشأ من علاقة بين فرد ودولته كما يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمنه تلك العلاقات من واجبات كدفع الضرائب والدفاع عن البلد وما تمنحه من حقوق كحق التصويت وحق تولي المناصب العامة في الدولة [4].

وقد ذهب بعض الباحثين إلى قصر مفهوم المواطنة على البلد الواحد الذي يعيش فيه الفرد وهي التي تحدد للمواطن حقوقه وواجباته ومعنى الولاء لبلاده وخدمتها في أوقات السلم والحرب والتعاون مع الآخرين في تحقيق الأهداف القومية ،وهناك من ينظر إليها بصورة أكثر شمولية، تتعدى حدود علاقة المواطن بوطنه الذي يقطن فيه ويرتبط بآخرين يشاركونه في الوطن المحلي إلى الوطن العالمي الإنساني ، فالمواطنة الصالحة يقصد بها إيجاد روح حب الوطن أو المجتمع مع اختلاف تركيبته والقيم التي توجد فيه، حيث يتدرج حب المواطن مع حبه لمدينته الصغيرة فدولته فمجتمعه الكبير العالمي[5].

وأشارت أحد الدراسات أن مبدأ المواطنة كما إستقر في الفكر السياسي المعاصر هو مفهوم تاريخي شامل ومعقد له أبعاد عديدة ومتنوعة منها ما هو مادي . قانوني ومنها ما هو ثقافي وسلوكي ومنها ما هو أيضا وسيلة أو غاية وبالتالي فإن نوعية المواطنة في دولة ما تتأثر بالنضج السياسي والرقي الحضاري[6].

المطلب الثاني : مفهوم الوطن و الوطنية

الوطنية المكان الذي يستوطنه الإنسان مثلما هو جار بالنسبة للأديان يهودي ،بوذي ..أو للجماعة البشرية قبلي ..الخ والعرب منذ القدم ينتسبون إلى أوطانهم فهذا نجدي وذاك حجازي ثم كان بعد الإسلام الشاميون والعراقيون

والمصريون فكان معنى الوطن للقبيلة وبعد بعثة النبي ﷺ أصبح الولاء للإسلام،والوطنية مصطلح جديد مستمد من المسار الحضاري الغربي تعني الولاء للوطن لبقعة جغرافية وجماعته من الناس ولدولته ولشاراته (العلم ، النشيد الوطني ..) وتمثلات هذا الولاء هي المواطنة من قبل المواطن لوطنه[7].

والوطنية عبارة عن مشاعر وروابط فطرية تنمو بالاكتساب لشد الإنسان إلى الوطن الذي إستوطنه وذهب البعض أن مفهوم الوطنية ليس مجرد ارتباط مجموعة من البشر بأرض محددة وإنما هي ولاء وانتماء من كل هؤلاء الذين يعيشون على ارض هذه الأرض ، فالوطنية – بمفهومها الواسع – تشكل إطاراً للقيم الإنسانية وليست جداراً يسجن ولا حاجزاً لنفى، إنما هي معبرٌ للالتقاء بالإنسانية كلها[8].

ويرى الشيخ القرضاوي أن فكرة الوطن والوطنية تقوم على حاجة الإنسان إلى المكان وإرتباطه به:

فالأرض التي ولد فيها الإنسان أو نشأ وله علاقة مادية وعاطفية تمثل نوعا من الإنتماء والولاء ،فالإنتماء إلى الأرض جبري وقدري لا إختيار للإنسان فيه ،فكل كائن حي محتاج إلى مكان أو مأوى يلوذ به، فالوحوش لها جحورها، والطير لها أعشاشها، وقد نرى الطيور والأسماك ونحوها تسير المسافات الشاسعة، وقد تخترق البحار والمحيطات ثم تعود إلى أماكنها الأولى، أي إلى أوطانها، لا تضل طريقها إليها، بحاسة الهداية العامة التي منحها الله لكل مخلوقاته)[9] يقول تعالى في هذا الشأن : ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[طه:50].

المبحث الثاني : ترجمة حياة يوسف القرضاوي

ولد يوسف مصطفى القرضاوي بقرية صفت تراب مركز المحلة الكبرى، محافظة الغربية، بتاريخ 9 سبتمبر 1926 حيث نشأ وحفظ القرآن الكريم، وأتقن أحكام تجويده، وهو دون العاشرة من عمره .التحق القرضاوي بالأزهر حيث أتم دراسته الابتدائية والثانوية .والتحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ومنها حصل على العالية سنة 1953، كما حصل على العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية سنة 1954.وفي سنة 1958 حصل على دبلوم معهد الدراسات العربية العالية في اللغة والأدب وفي سنة 1960 حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين .وفي سنة 1973م حصل على الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية.

إنتسب القرضاوي إلى جماعة الإخوان المسلمين بمصر وقد تعرض للإعتقال وهو طالب في المرحلة الثانوية سنة 1949، وفي جانفي 1954م، ثم في نوفمبر من نفس السنة وإستمر إعتقاله قرابة عامين، وفي سنة 1963عمل القرضاوي بالخطابة والتدريس في المساجد، ثم أصبح مشرفاً على[10]معهد الأئمة التابع لوزارة الأوقاف في مصر.نقل بعد ذلك إلى الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف للإشراف على مطبوعاتها والعمل بالمكتب الفني لإدارة الدعوة والإرشاد.وفي سنة 1961 أعير إلى دولة قطر، عميدا لمعهدها الديني الثانوي ،وفي سنة 1973 أنشئت

كليتا التربية للبنين والبنات نواة لجامعة قطر، فنقل إليها ليؤسس قسم الدراسات الإسلامية ويترأسه.في سنة 1977 تولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وظل عميداً لها إلى نهاية العام الجامعي 1990/1989، كما أصبح المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر، ولا يزال قائما بإدارته إلى اليوم.أعير من دولة قطر إلى جمهورية الجزائر خلال العام الدراسي 1991/1990م ليترأس المجالس العلمية لجامعتها ومعاهدها الإسلامية العليا.عاد إلى عمله في قطر مدير المركز بحوث السنة والسيرة منذ 1991 حتى الآن.

نال الدكتور القرضاوي جوائز عديدة ومن ذلك:جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد الإسلامي لعام 1411هـ ، جائزة الملك فيصل العالمية بالإشتراك في الدِّراسات الإسلامية لعام 1413هـ ،جائزة العطاء العلمي المتميز من رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لعام 1996.جائزة السلطان حسن البلقية (سلطان بروناي) في الفقه الإسلامي لعام1997[11].

ألَّف القرضاوي الكثير من الكتب في مجالات عدة أهمها : علوم القرآن والسنة والفقه والعقيدة والتصوف الدعوة والتربية توجيه التيار الإسلامي تراجم الشخصيات الإسلامية الأدب شعر ومسرح وكان القرضاوي عضوا في عشرات المجالس والمؤسسات التي تعنى بالدين الإسلامي والتعريف به، ويعدُّ الشيخ القرضاوي أحد المختصين البارزين في مجال الإقتصاد الإسلامي.

المبحث الثالث : قيم المواطنة وتأصيلها في ضوء القرآن والسنة

نكتفي في هذا المبحث عرض نصوص من التراث الإسلامي تدلي بمضمونها على موضوع المواطنة و القيم التي تأسست عليها ،فجاءت النصوص تثبت حق المواطنة في مواضع عدة نذكرها كالآتي :

عندما جاء القرآن الكريم يحكي عن قوم شعيب : ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا﴾[النساء :66] فكلمة فينا تدل على معايشة شعيب عليه السلام لهم وتوطنه معهم رغم كفرهم ، وقول يوسف عليه السلام لملك مصر : ﴿إجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ علي م ﴾ [القصص :75] والملك آنذاك كان كافرا أي ملك مصر وشعبها.

جعل القرآن حبُّ الوطن والدفاع عنه تعبير عن المواطنة: ﴿وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا﴾[آل عمران : 167] فأدلى القرضاوي بأنَّ حبُّ الوطن شعور فطري لم ينكره الإسلام بل جسدها في مصادره الشرعية وأرسى معالمها ومبادئها في وثيقة المدينة والتي كانت له وقفات تحليلية كان من بينها الارتباط الوجداني بالوطن فأدلى بقول النبي حين هجرته هو وأصحابه إلى المدينة أن قال: (يا حبذا مكة من وادي أرض

بها أهلي وعوادي أرض بها تغرس أوتادي أرض أمشي بها بلادي)[12] فكان الشيخ القرضاوي في معرض تدليله من التجربة النبوية على أن حبُّ الوطن فطرة إنسانية ووجدانية تجسَّدت في مقولة النبي ﷺ السابقة لمكة حينما خرج منها مهاجر إلى المدينة فكانوا يحنون إلى مكَّة بالشوق إليها قائلا :(ما طيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أنَّ قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك)[13]فأنزل الله تعالى مطمئنا له:﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾[القصص :85].

فكان في معرض تدليله لفكرة المواطنة عبر تحريره لمضمون مصطلح (الوطن) مشيرا إليها من خلال الآية الكريمة : ﴿قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِين ﴾[الأعراف: 24]ليدل على أن الأرض كلها في أول الأمر كانت وطنا لآدم وأولاده، من دون تزاحم أو تنافس أو إختصاص بمكان دون آخر (فلما كثرت ذرية آدم وانتشرت، بدأ الناس يتجمعون في أماكن بحكم الطبيعة الاجتماعية للبشر)[14].

وبناء على ذلك جاء الإسلام ليكرس قيم المواطنة ويجسدها بين الناس كالمساواة فلا تمايز في الخلق ولا تفاوت في المكانة منطلقا من منظور إنساني عام وهو ما أشارت إليه النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية حيث تعد المساواة من أهم أسس المواطنة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ **[سورة الحجرات: الآية 13]** ،وقد إشتهر القول عن رسول الله ﷺ: (لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى) [15]وكذلك قوله ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) [16]وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الناس سواء كأسنان المشط ، وإنما يتفاضلون في العبادة)[17].

إنَّ الآيات تبين أنَّ الناس جميعاً متساوون في إنسانيتهم وحقوقهم الأساسية وواجباتهم ، وبالتالي لا يجوز لأحدهم أن يطغى على الآخر أو أن يظلمه أو يقهره على شيء، ولا أن يتقدم أحد على أحد لنسب أو لون أو شكل أو مكان ، فالله تعالى لا ينظر إلى صورهم وإنما ينظر إلى القلوب وما ملكت إيمانهم ، فلا ينفع في الموقف بين يديه إلا الإتيان بقلب سليم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم ﴾[الشعراء: 88-89] وقوله ﷺ : (الناس سواء كأسنان المشط ، وإنما يتفاضلون في العبادة) [18]ويُظهِرُ المساواة في قوله ﷺ: (المسلمون شركاء في ثلاث: الماء ،والنار، والكلأ)[19] فإنَّ المساواة بين الناس في هذه الموارد الأساسية ترجع في الأساس إلى مساواةٍ أعمق تتصل بأصل الكينونة الإنسانية وحق الحياة للجميع دون فضل أو مِنَّة من أحد على أحد .

وأقرَّ الإسلام بالحرية الدينية واعتبرها من قيم المواطنة المعززة فلم يتَّجه نحو فكره رسم سياسة الإكراه لاعتناق الإسلام بل امتثلت جميع معاهدات المسلمين مع غير المسلمين على إقرارهم في ممارسة شؤونهم الدينية دون مضايقة أو إعتراض وقد تبيَّن ذلك من خلال كتاب النبي ﷺ لنصارى نجران الذين أنزلهم في المسجد النبوي حين جاؤوا ضيوفا عليه فقال لهم في هذا الكتاب بكل أريحيَّة ورصانة و مروءة :(ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد

النبي رسول الله ﷺعلى أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغيب أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته. وليس عليهم دنية ولا دم جاهلية. ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش. ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين .)[20]

فجسدتها الآية في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم﴾ [سورة البقرة: 256] .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباسﷺ قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين ، كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلاً مسلماً ، فقال للنبي ﷺ : ألا إستكرههما ، فإنَّهما قد أبيا إلا النصرانية ؟ فأنزل الله فيه ذلك . حدّثني المثنى قال: ثنا الحجاج بن المنهال ، وفي رواية أخرى قال: نزلت هذه في الأنصار ، قال: قلت خاصة ؟ ، قال: خاصة ، قال: كانت المرأة في الجاهلية تنذر إن ولدت ولداً أن تجعله في اليهود تلتمس بذلك طول بقائه ، قال: فجاء الإسلام وفيهم منهم ، فلما أُجليت النضير ، قالوا: يا رسول الله ، أبناؤنا وإخواننا فيهم ، قال: فسكت عنهم رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة :256] قال: فقال رسول الله ﷺ: (قد خير أصحابكم ، فإن اختاروكم فهم منكم ، وإن اختاروهم فهم منهم ، قال: فأجلوهم معهم)[21].

فهذه الآية المباركة تبيَّن رفض الإسلام للإكراه والاضطهاد من أجل الدين ، وتمنح الإنسان حرية المعتقد ، فالإسلام يتضمن الحقوق الدينية وممارسة الشعائر لجميع المواطنين وتاريخ الدولة الإسلامية يشهد على مدى الالتزام بتطبيق المبادئ السالفة وصحيفة المدينة مثال واضح لذلك حيث تدل على أن الدولة في الإسلام تقوم على تعاقد عام بين مواطنيها مع احتفاظهم لعقائدهم الدينية [22].

وما عاهد عليه رسول الله ﷺ أبا الحارث بن علقمة أسقف نجران ، فقد كتب له: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من محمد النبي للأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم على أن لهم ما تحت أيديهم من قليل أو كثير من بيعهم وصلواتهم ورهبانيتهم وجوار الله ورسوله ، لا يُغَيَّر أسقف عن أسقفيته ، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا كاهن عن كهانته ، ولا يُغَيَّر حق من حقوقهم ولا سلطانهم ، ولا شيء مما كانوا عليه ، ما نصحوا وأصلحوا في ما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين) [23] فقد ضمن لهم النبي ﷺ حرّيَّتهم الدينية وسائر حقوقهم المعيشية كاملة في مجتمع المسلمين ،فنجد أنه ﷺ قد قرر لكل أحد حرية دينه وأنهم جميعاً أمّة واحدة لهم الحقوق ذاتها وعليهم الواجبات ذاتها ، وإن المعاملة بين الجميع تقوم على البرّ المحض فَضَمِنَ سلامة العيش وكرامته ، والحرية في الشؤون الخاصة والمساواة في الشؤون العامة ،وإن النَّاظم بينهم هو البرّ المحض

وكما إرتكز الإسلام على قيم إنسانية أخرى من قيم المواطنة كقيمة العدل والإنصاف والتي تعدُّ في نفس الوقت من الشروط الأساسية لتحقيق المواطنة ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[النساء : 58] ويقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة : 8] وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء : 58].

لقد كان أمر الله بالعدل أمرًا عاما دون تخصيص نوع دون نوع ولا طائفة دون طائفة لأن العدل نظام الله وشرعه والناس عباده وخلقه يستوون أبيضهم وأسودهم ذكرهم وأنثاهم مسلمهم وغير مسلمهم أمام عدله وحكمته [24]، فيقال تعالى :﴿ وإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء: 8].

وحيث جعل قاعدتين للتَّعامل مع عامة النَّاس هما البرّ والعدل ، والعدل يتضمن صيانة جميع الحقوق ، والبرُّ هو الإحسان وهو المعاملة بالرأفة والرحمة ، وهناك آيات كثيرة تؤكد على الحفاظ على حقوق الناس و تحقيق مبدأ الشورى في الإسلام والذي يؤكد حق المشاركة السياسية للناس جميعا وإعتراف الإسلام بحرية العقيدة [25]،على غرار الحكم القائم بين المسلمين واليهود والمشركين في مجتمع المدينة كانت المساواة بينهم قائمة على أساس القيمة الإنسانية المشتركة فالناس جميعا متساوون في أصل الكرامة الإنسانية وفي أصل التكليف والمسؤولية ،وأنه ليست هناك جماعة تفضل غيرها بحسب عنصرها الإنساني وخلقها الأول يقول تعالى :﴿يأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[النساء :1].

ولو قيَّض الله المسلمين العمل بمبدأ الشورى والإفادة من مدلول صحيفة المدينة وسيرة النبي ﷺوتحويل ذلك إلى نظام سياسي يحقق المساواة والعدل والإنصاف بين المسلمين وغير المسلمين ممن شاركوهم الوطن لكان المسلمون أولى بإقرار مفهوم تقدما من عصرهم لمبدأ المواطنة منذ زمن بعيد[26].

والخلاصة أنَّ النصوص القرآنية ونصوص السُنَّة الشريفة تَحوي المضامين التي تنصّ كلها على المساواة أمام القانون وتداول السلطة والعدالة الاجتماعية، إلا أنه يختلف في بعض التفاصيل بين تصور وآخر، وذلك من جِهة وجود بعض القيود القِيميّة أو الدينية التي تتحكم بسلوك الأفراد أو بَعض القيم الأخلاقية كذلك ،بحيث تسهم في إيجاد الرابط المجتمعي بين الأفراد وبين الإصرار على خلوّ هذه الرابطة من أيّ من القيم والذهاب باتجاه الحرية المطلقة للإنسان .

المبحث الخامس :المواطنة في الإسلام

المواطنة في الإسلام أشار إليها الدكتور رشيد الغنوشي في "كتابه حقوق المواطنة": (بأنها حق لكل مسلم يتمتع بها وهما صنفان :المسلمون القاطنون في حدود الدولة الإسلامية يقول عنهم أبي الأعلى المودودي أما المسلمون

الذين يقطنون في دار الإسلام سواء ولدوا فيها أو اِنتقلوا إليها من دار الكفر فهم من أهل دار الإسلام متساوون معهم في حقوقهم [27]،والثاني من مواطني الدولة الإسلامية يقول عنهم المودودي جميع أولئك الذين يقطنون في داخل حدود الدولة الإسلامية من غير المسلمين ويقرون لها بالولاء والطاعة بقطع النظر عما إذا كان قد ولدوا في دار الإسلام أو جاءوا إليها من الخارج أو التمسوا من الحكومة أن تجعلهم في عداد آهل الذمة هؤلاء يعطيهم الإسلام قوانين البلاد الداخلية مثلما يعطي المسلمين من الحقوق سواء بسواء[28].

وتأتي صحيفة المدينة كوثيقة تاريخية إسلامية تضمنت فكرة المواطنة في أجمل حلتها الاِجتماعية والسياسية بحيث قامت لتجسد فكرة المواطنة لتنظم حياة أهل المدينة من دون تفريق بينهم، لا في الحقوق ولا في الواجبات، وهو ما أشار إليها القرضاوي من خلال تحليله للوثيقة التي تنصُّ على (أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم) [29] والأمة حسب ما ضمنته الوثيقة هم المؤمنون والمسلمون من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم البند رقم 2، وأن يهود بني عوف . اليهود الذين حالفوا المسلمين . أمَّة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم أنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته البند رقم 25،35)[30] فوقف الشيخ القرضاوي مع هذه الوثيقة ليجلي مدلول بعض موادها ومواثيقها المهمة خصوصا تلك المتعلقة بمفهوم الأمة الاِعتقادي والسياسي والاِجتماعي والجغرافي الذي عدَّه الشيخ القرضاوي أساس الهوية السياسية و المواطنة في العصر الحديث وأثرها على فكرة المواطنة[31].

بهذا المعنى بأنها لا تقتصر على سكانها المسلمين، بل هي أمتان دينيتان في أمة سياسية واحدة، وهذا تعبيرًا عن المدلول السياسي للأمة وتمييزه عن المدلول الاِعتقادي ،ثم مدَّ النص هذا الحكم ليشمل قبائل اليهود الأخرى وبطانتهم)أي أحلافهم من غيرهم[32] ،في إحدى عشرة مادة متتالية فكل من المسلمين واليهود أمة دينية بمقتضى هذا النص، والأمتان تشكلان معا أمة سياسية واحدة.[33]

وأوضح الشيخ القرضاوي من خلال تحليله للوثيقة شرعية المواطنة مستدلاً باعتراف النبي ﷺ بها في صورتها القيمية وفي حدود الدولة بين سكان المدينة من مسلمين مهاجرين وأنصار، من أوس وخزرج، ومن اليهود على اختلاف قبائلهم، معتبرا أن هذه المواطنة (العيش في وطن واحد هو المدينة) هو أساس التعاقد والتعامل بين الجميع.

وقد فسّر القرضاوي نص من الوثيقة موضحا القصد منها أنه لم يقل إن اليهود أمة من المؤمنين، وإنما هم أمة مع المؤمنين، والمعية تقتضي المغايرة والاتصال معا، وقد ترتب على هذه الوحدة السياسية مسؤوليات، أهمها أن

"اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين" وأن "بينهم النصر على من دهم يثرب" وأن "بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم" .

فمسلمو المدينة بمقتضى الوثيقة يدفعون ضريبة المواطنة من دمائهم وأموالهم، واليهود يدفعونها من أموالهم فقط، لأنهم ليسوا جزءا من الصراع الديني بين الحنيفية الإسلامية والوثنية القرشية، وهذا اعتراف حكيم بأن اليهود جزء من الأمة السياسية لا الأمة الاِعتقادية في دولة الإسلام، وتقنين عادل لوضعهم طبقا لذلك، كما أنه تأصيل لقبول تعدد الهوية الإنسانية، وتعدد أنماط الأخوة بين البشر. [34]

6. المواطنة من خلال تحليل وثيقة المدينة عند القرضاوي :

وثيقة المدينة المنورة: لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة ، وهي مجتمع خليط من المسلمين المهاجرين والأنصار واليهود والوثنيين ،كتب رسول الله ﷺبينهم كتاباً يُنظم شؤونهم والعلاقة فيما بينهم ، وأقرّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم ،ومما جاء فيه: (وإن يهود بني عوف أمَّة مع المؤمنين ،لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته ، وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ...) [35] ثم أخذ ﷺ يُعَدِّد بُطون اليهود ويذكر لهم مثل ما ذكر لبني عوف ، ثم كتب ﷺ: (وإن الله على أبرِّ هذا؛ وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بَينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإنَّ النصر للمظلوم [36] ،وإنَّ اليهود يُنفقون مع المؤمنين ما دَاموا محاربين ، وإن يَثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ،وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تُجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فساده فإن مردّه إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ،وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه ، وإنه لا تُجارُ قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دَهم يثرب ، وإنهم إذا دُعُوا إلى صُلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا مَن حارب في الدين،على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .وإن يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم ،على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البرّ المحض من أهل هذه الصحيفة) [37] .

وتنظم الوثيقة حياة أهل المدينة من دون تفريق بينهم، لا في الحقوق ولا في الواجبات، وهو ما يلفت إليه من خلال الوثيقة التي تنصُّ على أن:(يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم) [38].

فالأمة بهذا المعنى لا تقتصر على سكانها المسلمين، بل هي أمتان دينيتان في أمة سياسية واحدة،وأوضحت الوثيقة هنا تعبيرا عن المدلول السياسي للأمة وتمييزه عن المدلول الاِعتقادي التي تنصُّ على أن «يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم» ثم مد النص هذا الحكم ليشمل قبائل اليهود الأخرى و«بطانتهم»

(أي أحلافهم من غيرهم) في إحدى عشرة مادة متتالية فكل من المسلمين واليهود أمة دينية بمقتضى النص،والأمتان تشكلان معًا أمَّة سياسية واحدة[39].

فيرى القرضاوي أن المسلمين في غنى عن استيراد مفهوم المواطنة من سوق الفكر الغربي لأن فقهاء المذاهب ا لمختلفة جميعا بحسبه قرَّروا أن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي وهم الذين يعبر عنهم في الاصطلاح الفقهي بأهل الذمة يعدون من أهل دار الإسلام، وان لم يكونوا من أهل الملَّة، مضيفا أن كلمة أهل الدار هذه تمثل مفتاحا للمشكلة ، لأن معنى أنهم أهل الدار أنهم ليسوا غرباء ولا أجانب، لأن حقيقة معناها: إنهم أهل الوطن، وإذا ثبت أنهم أهل الوطن، فهم مواطنون كغيرهم من شركائهم من المسلمين وبهذا تحل هذه الإشكالية من داخل الفقه الإسلامي .[40]

ولتحديد المواطنة وعلاقتها بالأمَّة كان للشيخ القرضاوي وقفات تحليلية لوثيقة المدينة استنبط منها ملاحظات حول المواطنة وعلاقتها بالأمة كالأتي :

. وردَفي مفهوم الأمة من خلال تحليله للوثيقة إلى معاني متعددة اعتقادي وسياسي وجغرافي واجتماعي ولكل مدلول أهميته وتأثيره على مفهوم المواطنة وقد أرست الوثيقة القبول للرابطة الإعتقادية الأوسع في الدولة والرابطة القبلية الأضيق في الدولة .

. تقبل الوثيقة بتعدد الهوية لدى مواطنيها فقد يكون المواطن مهاجرا أو أنصاريا مسلما أو يهوديا أوسيا أو خزرجيا وهو ليس مطالب بنفي الانتماء من أن قبوله مواطنا في الدولة الإسلامية

. الدولة الإسلامية التي وضعت وثيقة المدينة أساسها ليست مرادفة لدولة المسلمين إنما تسمى دولة إسلامية تغليبا ومرجعية وإلا فهي دولة المسلمين وغيرهم محكومة بقانون الإسلام

. التناصر بين المسلمين أوسع من انتمائهم السياسي وهو حق للجميع لمن لا ينتمون لدولة إسلامية أصلاً كما هو حال المسلمين الذين لم يهاجروا إلى المدينة قبل فتح مكة[41].

7.الحقوق والواجبات الموطنة عند يوسف القرضاوي

يُقصد بالمواطنة تساوي أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات، وهو ما يعني أن كافة أبناء الوطن الواحد سواسية من دون تمييز على أساس الدين أو الجنس أو اللون أو الموقف الفكري أو الوضع الطبقي.وترتكز المواطنة على قيم محورية هي: المساواة، والحرية، والحق في المشاركة في إدارة المجتمع والمسؤولية الاجتماعية.

فكان للشيخ القرضاوي موقفا يبرّرُ انه من حق الشعوب بل من واجبها أن تقاتل وتحمل السلاح لتسترد أرضها وديارها إذا أخرجت منها استنادا لقول المولى عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ

لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾[البقرة: 246] ليتوقف الشيخ أمام المعاني الإعتقادية والاجتماعية والجغرافية للأمة الإسلامية في وثيقة المدينة ليخلص إلى النتيجة ذاتها قبل أن ينتقل إلى طرف من تطبيقاتها الفقهية في مدونة الفقه الإسلامي وذلك في ما ينقله العلامة ابن عابدين عن أئمة الفقه الحنفي حيث يقررون: (إن الجهاد فرض عين إن هجم العدو على بلد مسلم، وذلك على من يقرب على العدو أولا، فان عجزوا أو تكاسلوا فعلى من يليهم ثم من يليهم حتى يفترض على هذا التدريج على المسلمين شرقا وغربا).

وهنا يؤكد القرضاوي إن النبي ﷺقد اعترف بالمواطنة بين سكان المدينة من مسلمين مهاجرين وأنصار، من أوس وخزرج، ومن اليهود على اختلاف قبائلهم، معتبرا أن هذه المواطنة (العيش في وطن واحد هو المدينة) هو أساس التعاقد والتعامل بين الجميع . مشير إلى وثيقة المدينة التي مثلت دستور الدولة بالمدينة والتي تقضي بأنه من تبع المسلمين من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف[42].

موقف القرضاوي من الأقليات الإسلامية في بلد غير إسلامي:

الأقلية عبارة على جماعة من الناس تدخل ضمن التركيب الهيكلي للكيان البشري في الوحدة السياسية للدولة ،والأقليات ثلاثة أنواع الأقلية القومية والأقلية الدينية والأقلية المركَّبة من النوعين السابقين والنوع الأخير من الأقليات يعتبر أكثر حساسية من سابقاتها، ومن هذا النوع أقليات اليهود التي تعيش وسط المجتمعات الأممية وقد ضمنت وثيقة المدينة لهذه الأقليات التي تعيش داخل المجتمع الإسلامي حقَّ حرية العبادة والحماية مقابل شروط يلتزمون بها وتتضح هذه النقطة على التأكيد على حق المواطنة للأقليات فأظهر الإسلام مرونة كبيرة في التعامل مع قضايا حق المواطنة للأقليات التي تعيش على أرضه ما دامت ملتزمة بما عاهدت عليه وما قطعته على نفسها من عهود ومواثيق فقد جاء فيها :(....اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ....لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ...) [43] .

أرجع القرضاوي أن حكم الإقامة في بلد غير إسلامي يختلف باختلاف حال أهل هذا البلد، وموقفه من الإسلام والمسلمين. فمن البلاد ما يضطهد المتدينين عامة، ويقف من الدين موقف المعادي، ومثل هذه البلاد لا يجوز الهجرة إليها فلا يحل للمسلم أن يترك بلده المسلم الذي يتمكن فيه من أداء شعائره، ويذهب إلى بلد يضيق عليه، وفي الحديث"لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه" قالوا: وكيف يذل نفسه يا رسول الله؟ قال: يحملها من البلاء ما لا تطيق".

أما أهل البلاد من المسلمين فيرى الشيخ أن يصبروا ويرابطوا ولهم أن يعملوا بأحكام الضرورة فيما لا طاقة لهم به يقول تعالى: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) النحل 115 ،أما إذا كان البلد غير المسلم من تلك البلاد التي يسود فيها مناخ الحريات الدينية والمدنية والفكرية والسياسية، فلا بأس – بحسب الشيخ – أن يهاجر إليها المسلم لأهداف مشروعة مثل: العمل ، وكسب العيش، وطلب الأمن، وطلب الدراسة والسعي في طلب الرزق، والمشي في مناكب الأرض مشروع للمسلم.،

ويتناول الشيخ في سبيل التدليل على شرعية الهجرة للبلد الآمن غير المسلم الحديثين اللذين يستدل بهما بعض المتشددين على حرمة الإقامة في البلد غير المسلم وهما:

حديث: "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا يا رسول الله ولمَ، قال: لا تتراءى ناراهما"،وحديث: "من جامع مشركا وسكن معه فهو مثله"[44].

أما الأول فإن الشيخ يلفت إلى كونه حديثا مرسلا، وعامة أهل الحديث يعدون المرسل من الضعيف، ثم يحلل سياقه التاريخي ليخلص إلى أن النبي ﷺإنما قصد بقوله: أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، أنه بريء من دمه إذا قتل؛ لأنه عرض نفسه لذلك بإقامته بين هؤلاء المحاربين لدعوة الإسلام ودولته.

وأما الثاني: فهو حديث ضعيف بالإجماع.. ومن ثم لا يقف دليلا على حرمة الذهاب إلى بلاد الغرب، في زمن اشتدت فيه حاجة الناس إلى الذهاب طلباً للرزق وللعلم ولأسباب الحياة.

وفي هذا السياق يستشهد الشيخ بهجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة وعيشهم في ظلال دولة غير إسلامية، يحكمها نصراني بل واستمرار بعضهم في الإقامة هناك حتى بعد زوال سبب هجرتهم إلى الحبشة وإقامة دولة الإسلام في المدينة، "فهذا يدلنا على أن المسلم يستطيع أن يعيش في كنف دولة غير مسلمة، ولا يفرض عليه الهجرة منها ، مادام يعيش فيها آمنا على نفسه وأهله، ودينه وحرماته، لا يضطهده أحد، ولا يفتنه عن دينه، وإلا وجب عليه أن يفارقها مهاجرا، حتى لا يكون من الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم.[45]

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث ينبغي أن نأخذ بالاعتبار أمور هامة:

. إن خلوّ مفهوم المواطنة من القيم الدينية والأخلاقيّة والاجتماعيّة ، والدعوة إلى عدم أخذها بالاعتبار، والجنوح نحو الحريّة المطلقة للإنسان، يَعني في الحقيقة عُدواناً على إنسانيّة الإنسان وتفريغاً له من محتواه الإنسانيّ، والاكتفاء بالتعامل معه على أساس غرائزي حيواني لا غير، وهو ما تدعو إليه بعض العلمانيات المتطرفة وتشرّع

على أساسه الرذيلة والفلتان الإجتماعي والشذوذ المدمرة لحياة الإنسان ، وتوسّع دائرة انتشارها من خلال المطالبة بالحريات غير المقيّدة كسبيل لتحقيق ما يُسمونه بالمواطنة الكاملة .

. الإسلام أوَّل من دعا إلى الوحدة الإنسانية الشاملة والتساوي في الحقوق والواجبات ليعيش المجتمع في سلام وأمن واستقرار

. كان للقرضاوي كتابات واجتهاد في المواطنة سعى من خلالها إلى بيان قيمها من خلال تحليله لوثيقة المدينة وإرسائها بالحثّ عليها داعيا إلى ترسيخ فكرة الولاء للوطن والارتباط له

. المواطنة في الإسلام مفهوم سياسي مدني تحقق توازنا في المجتمع على الرغم من التنوع العرقي والعقدي والديني والثقافي .

. من حقوق المواطنة عند القرضاوي الحرية واحترام الخصوصيات وحق الكرامة الإنسانية وحق الحماية والدفاع عن الوطن والمساواة والعدل وحسن المعاملة .

. المواطنة ليست مقتصرة على المواطن حقوقه الواجبة له على الوطن بل عليه أن يؤدي حق الوطن عليه .

توصيات البحث

. الدعوة إلى فهم الإسلام الصحيح وأحكامه ومبادئه السامية والعودة إليه في كل ما يتعلّق بالدين والحياة والعلاقات التي تربط الوطن بالمواطن أو العكس والأخلاق .

. تطبيق مبادئ وقيم المواطنة والإصغاء إليها من حرية وعدل ومساواة والتزام بمبادئ الأخلاق الكريمة .

العمل على تفعيل الحوار الثقافي والحضاري واحترام الثقافات الأخرى .

. العمل على الإشادة بالعلماء واجتهادهم بكل ما يتعلق بأمور الدين والحياة والعلاقات التي تربط بين الوطن ووطنه وبين الطرف الآخر والعودة إليهم في معالجة القضايا السياسية والإجتماعية والدينية .

. الدعوة إلى إحترام أصول العلاقات الدولية السلمية القائمة على التعايش السلمي والودي واحترام الحقوق والواجبات .

الهوامش او المراجع:

[1]إبن منظور ، لسان العرب ،باب ميم (بيروت : دار صادر ،د، ط، ،ج13، 1968م)ص451.

[2]حسن السيد خطاب ، بحث في حقوق المواطنة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة ،د، ت، ص 8

[3]سهام حروري ،المواطنة ودورها في بناء الدولة القوية الكويت أنموذجا ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر ،تخصص أنظمة سياسية مقارنة وحوكمة ،كلية الحقوق والعلوم السياسية ،جامعة محمد خيضر بسكرة ،2013م ،2014م ص23

[4]براستان ،إشكالية المواطنة الرعية في التراث السياسي الإسلامي (برلين :المركز الديمقراطي العربي ،ط1،2017م)ص 5.

[5]خليل أبو دف ، تربية المواطنة من منظور إسلامي ،غزة ، الجامعة الإسلامية ،كلية التربية ، 1424هـ ،2004م ، ص 249.

[6]بشير نافع وآخرون ،المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، د،ت)ص 37.

[7]عبد الرحمان بن زيد الزبيدي ، بحث فلسفة المواطنة،دط ،د ،ت ،ص 5.

[8]خليل أبو دف ، تربية المواطنة من منظور إسلامي ، المرجع السابق ، ص 248.

[9]المرجع نفسه ، ص 250.

[10]أنظر حسين حلاوة ،فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي ،بحث مقدم لملتقى الإمام القرضاوي ، 1428هـ ،2007م،ص ص19،7.

[11]أنظر حسين حلاوة ،فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي ، المرجع السابق ،ص ص 19،7.

[12]محمود خليل أبو دف ،تربية المواطنة من منظور إسلامي، المرجع السابق ، ص 245.

[13]أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ،الجامع الكبير، كتاب المناقب ، باب في فضل مكة ،حديث 3926(بيروت : دار الغرب الإسلامي ،ط1 ، ،ج5، 1996م) ص208.

[14]

[15] أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، تحقيق شعيب الأرناءوط وآخرون ،مسند الأنصار ،حديث رجل من أصحب النبي ﷺ ،حديث 23489(مؤسسة الرسالة ،ط1،1421هـ ،2001م ج38)ص 474.

[16]الإمام مسلم بن الحجاج ،صحيح مسلم ،تحقيق نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة بكتاب البرّ والصلة والآداب ، تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ، حديث (2564) (. دار طيبة،د،ط، 1427هـ ،2006 ا)ص 1193.

[17]أخرجه ابن عساكر في كنز العمال برقم: (24822) .

[18]أخرجه أحمد في مسنده ، برقم: (23489)

[19]أخرجه أحمد في مسنده ، برقم: (23489) الحميد حديث 3477(بيروت : المكتبة العصرية ،د،ط ،ج3) ص 278

أبو داود ، سنن أبو داود ،تحقيق محمد محي الدين عبد العمال برقم: (24822) .

[20]أخبار عمر ،علي الطنطاوي ،ص 155.

[21]محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان ، (بيروت :دار الفكر للطباعة والنشر ،دط، ج3،1415هـ،1995م)ص20 .

[22]طريف السيد عيسى ،مقال المواطنة من المنظور الإسلامي ، 28جمادي الآخرة 1431هـ ،الموافق 2010/06/10م .ص 5.

[23]محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، تحقيق م علي محمد عمر (مكتبة الخانجي،،ط1،ج 1 ، 1421 هـ ،2001 م)ص 266.

[24]محمد شلتوت ،الإسلام عقيدة وشريعة (القاهرة : دار الشروق ،ط16،1992م)ص 452.

[25]طريف السيد عيسى ،المواطنة من المنظور الإسلامي ، 28جمادي الآخرة 1431هـ ،الموافق 2010/06/10م .ص 5.

[26] شير نافع وآخرون ،المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، د،ت)ص 21.

[27]راشد الغنوشي ، حقوق المواطنة (المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي ،د،ت، ص 72.

[28]المرجع نفسه ،ص 73.

[29]أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ،البداية والنهاية ،تحقيق علي شيري (دار إحياء التراث العربي ،ط 1،ج1408،3هـ ،1988م)ص 275.

[30]أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، المرجع نفسه ،ص 276

[31]يوسف القرضاوي ،الوطن والمواطنة، المرجع السابق ص 22.

[32]أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ،المرجع السابق ، ص 275.

[33]المرجع نفسه ،ص 276

[34]عبد الله متولي ،الوطن والمواطنة نظرة شرعية ،مجلة الرأي في عددها AO.11924 الخميس 23 /2012/2م .ص 1. وتم نشره في موقع المجلة http://www.alraimedia.com/ar/article/islamics/2012/02/23/314453/nr/nc بنفس التاريخ ،تم تصفحه يوم 10،2017/26م ،على الساعة 17: 34.

[35]أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ،البداية والنهاية، المرجع السابق ، ص 274.

[36]المرجع نفسه ، ص 275.

[37]عبد الملك بن هشام الحميري ، السيرة النبوية (مصر : مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،ط 2 ،ج 2 ، 1375ه ،1955م)ص 147.

[38]أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ،البداية والنهاية،المرجع السابق ،ص 275.

[39]أحمد قائد الشعيبي ،وثيقة المدينة المضمون والدلالة ،(قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،ط 1،2006م، كتاب الأمة ،العدد 113 ، السنة 25،1426ه)،ص 221.

[40]عبد الله متولي ،الوطن والمواطنة نظرة شرعية ،مجلة الرأي في عددها AO.11924 الخميس 23 /2012/2م .ص 1. وتم نشره في موقع المجلة http://www.alraimedia.com/ar/article/islamics/2012/02/23/314453/nr/nc بنفس التاريخ ،تم تصفحه يوم 10،2017/26م ،على الساعة 17: 34.

[4141]يوسف القرضاوي ،الوطن والمواطنة في ضوء الأصول العقدية والمقاصد الشرعية، المرجع السابق ،ص.ص 15 ،16.

[42]المرجع نفسه ،ص 17.

[43]علي عبد الله بن غلبون ،بحث أسس العلاقات الدولية في الإسلام من خلال وثيقة المدينة ،مجلة البحوث الأكاديمية، ص 125.

[44]الترمذي ، الجامع الكبير سنن الترمذي ،كتاب السير ، باب ما جاء في كراهية المقام بين اظهر المشركين ،حديث 1604(بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ط1 ،ج3 ، 1998)ص207.

[45]يوسف القرضاوي ،الوطن والمواطنة في ضوء الأصول العقدية والمقاصد الشرعية، المرجع السابق ، .ص 51.